المحاضرة الثالثة

**فترة الازدهار الأنثروبولوجيا الثقافية (1915-1930م).**

**تتميز تلك الفترة بكثرة الأبحاث والمناقشات في الأنثروبولوجيا الثقافية ويرجع ذلك إلى نضوج العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه، أخذت تتركز دراسات هذا العلم في أمريكا وأصبح معظم علمائه من الأمريكيين.**

افتتح العالم الأمريكي (ادوارد سابير (*E. Sapir* هذه الفترة ببحثه الشهير: (عامل الزمن...) وبدأه بالعبارات التالية التي تؤكد مبادئ المدرسة: (تسير الأنثروبولوجيا الثقافية بسرعة نحو اتخاذ القرار صورة على التاريخ، إذ لا يمكن فهم معطياتها سواء في ذاتها أو في علاقتها مع بعضها إلا على أنها فقط نهاية لحوادث معينة متتابعة ترجع إلى ماضي بعيد). ويقصد بذلك أنه لا يمكن فهم الدراسات الوصفية لعناصر الثقافات المختلفة إلا عن طريق تحليل تاريخ تلك العناصر أي لا يمكن فهم الحاضر إلا بالرجوع إلى الماضي.

**قام في تلك الفترة الكثير من العلماء مثل ويسلر *Wissler* وكروبر*Kroeber* وسابير *Sapier* وبينيديكت *Benedict* بأبحاث ممتازة خاصة بدراسات إقليمية تطبق فيها التحليل التوزيعية للعناصر الثقافية في حدود فترات زمنية معينة وتطبق فيها كذلك تحليل العمليات الثقافية.**

**وفي انجلترا ظهر فرع أخر لتلك المدرسة الانتشارية وخير من يمثلها العلامة اليوت سميث*Elliot* *Smith* الذي كان متخصصا في المخ الإنساني ثم أصبح مهتما بدراسات الأنثروبولوجيا الثقافية. وقد أعجب (سميث) وبعض زملائه في جامعة مانشستر بالآثار التي اكتشفها عالم الآثار (بتري) في مصر، عندما فحصوا المعطيات الثقافية والآثار الخاصة بأماكن أخرى في العلم وجدوا تشابها واضحا بين تلك الآثار وآثار مصر القديمة فاستنتجوا من ذلك انتشار عناصر الثقافة المصرية من مصر إلى جميع أجزاء العالم.**

**كما يوجد فرع آخر للمدرسة الانتشارية في ألمانيا اختص بدراسة تاريخ ثقافات العالم وكانوا يطلقون على طريقهم اصطلاح المنهج التاريخي في دراسة الثقافة. ويعد العلامة الألماني (جرابنر (*Graebner*المؤسس الأول لذلك الفرع, حدد هدف المدرسة الالمانية الانتشارية على انه تقصي وتحديد مجموعات من عناصر اساسية اطلق عليها اصطلاح مركبات ثقافية (*Culturcreise*) وتتم عمليات الفحص في الاطار التاريخي والاطار الاقليمي او الجغرافي, فيبدأ العالم بتحديد منطقة جغرافية ثم يقتصي تاريخ العناصر الاساسية الموجودة فيها, ويقصد بالعناصر الاساسية: العناصر التي يتكون منها النمو الثقافي العالمي وقد حدد اهم صور تلك العناصر الاساسية بانها المركب الثقافي *Culture Complex* الذي يتكون من مجموعة من العناصر الثقافية البسيطة *Culture Trait* وكذلك الدائرة الثقافية *Culture Circle* وهي تشبه المنطقة الثقافية, وايضا الطبقة الثقافية *Culture Stratum* ويقصد بذلك احدى مراحل التطور الثقافي.**

**ازدهرت في تلك الفترة الأنثروبولوجيا الثقافية ليس فقط لكثرة الأبحاث والمدارس وإنما لازدياد اهتمام الدول المتقدمة بهذا العلم عن طريق إنشاء المتاحف الأنثروبولوجية وخاصة في أمريكا التي اهتمت بجمع الآثار والتحف الفنية الممثلة لجميع ثقافات العالم وتصنيفها وعرضها بطريقة جذابة في المتاحف المعدة لذلك.**

ومن ابرز علماء هذه المدرسة الاب (**ويلهام** **شميدت**) *Father Wllhelm Schmidt*الذي اكمل الانتشارية الالمانية, يرى ان الثقافة الحديثة في العالم هي نتاج انتشار عناصر ثقافية ترجع الى الماضي وقد انتشرت تلك العناصر عبر التاريخ

**الفترة التوسعية للأنثروبولوجيا الثقافية (1930-1940م).**

تتميز تلك الفترة بالتحولات والمشكلات الخاصة بالأنثروبولوجيا الثقافية وخاصة في أمريكا التي تركزت فيها دراسات هذا الفرع للأنثروبولوجيا. ففي تلك الفترة تعرضت كل من المدرسة التاريخية والمدرسة الانتشارية للنقد الشديد من داخل ومن خارج أمريكا وخاصة من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية. اعترفت الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية وخصصت لها فرعا في أقسام علم الاجتماع، على النقيض من ذلك ضعف نشاط المتاحف الأنثروبولوجية وقلة أبحاثها بسبب الانهيار الاقتصادي الذي تعرضت له أمريكا في تلك الفترة. وفي تلك المرحلة تقدم علم الآثار *Archeology* وأصبح له مناهج ومقاييس خاصة بعمليات تاريخ الآثار والعناصر الثقافية، أثبتت تلك المقاييس عدم صحة نتائج )المدرسة الانتشارية) التي اعتمدت فقط على التحليل التوزيعي للعناصر الثقافية. وفي هذه الفترة تقدمت وازدهرت دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية بفضل أبحاث كل من مالينوفسكي *Malinowski* وراد كليف براون *Radcliffe* *Brown*، وعندما وصلت تلك الأبحاث إلى أمريكا معقل الأنثروبولوجيا الثقافية أحدثت آثارا عميقة في مفاهيم ومناهج الأنثروبولوجيا الثقافية إذ تبين أن هناك مدارس أخرى غير (المدرسة التاريخية) و(المدرسة الانتشارية). فنجد العالم كروبر *Kroeber* يعيد فحص العلاقة بين (المناطق الثقافية) و(المناطق الجغرافية الطبيعية) بطريقة أكثر عمقا. وتوصل إلى مفهوم جديد وهو (قمة الثقافة) ويقصد بذلك النقطة أو المكان الذي يمثل أقصى تركيز أو تمثيل لثقافة معينة.

ومن النظريات الهامة التي اكتملت معالمها في تلك الفترة )النظرية التناسقية التكاملية( *Configurationalism*، مهد لها العالم الأمريكي سابير *Sapir* عندما اعترض على فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها ولذلك نادى بضرورة اهتمام الأنثروبولوجيا بالفرد وبأفكاره وبمشاعره وعدم ترك هذا الموضوع لعلماء النفس وحدهم، حيث أكد على الخاصية )الرمزية *Symbolism*) للسلوك, لأن كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي، أي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة.

فــ(سابير) يرفض استعمال مفهوم الثقافة على انها حقيقة موضوعية مستقلة عن شعور وعقول الافراد *Superorganic* *Impersonal* *Whole*, وانما ينظر اليها كمجموعة متناسبة من انماط السلوك التي يمكن توضيحها او تحديدها عن طريق دراسة السلوك الواقعي لكل او معظم افراد الجماعة صاحب الثقافة موضوع البحث, ويرى ان جوهر الثقافة هو تفاعل الافراد وما يترتب عليه من معاني ومشاعر مشتركة, وهكذا يصور الثقافة على انها كل متكامل يتكون من انماط فكر وعواطف وانماط عمل.

تاثرت الاستاذة الامريكية روث بنديكت *Ruth* *Benedict* بتفسير الثقافة الذي قدمه الاستاذ سابير *Sapir* واستعملت اصطلاح (تناسق) *Configuration* في ابحاثها, فقد لاحظت عند دراستها الميدانية لبعض القبائل الهندية في المنطقة الجنوبية الغربية من امريكا الشمالية اختلافا جوهريا بين مجموعتين من ثقافات تلك القبائل, فقد لاحظت ان حضارات قبائل (البيبلو) *Peublo* تتميز بالاهتمام بالمظهر الخارجي للسلوك, وبالطقوس وبدقة احترام العادات والتقاليد وبنوع من الفردية المتشككة, استعملت اصطلاحا نفسيا للتعبير عن تلك المجموعة الثقافية وهو ثقافات (منبسطة) *Extrovert*, وتبينت المجموعة الثقافية الثانية التي تعيش بالقرب من الاولى والتي منها قبيلة (نافاهو) *Navaho* تتميز بخصائص تناقض سمات الثقافات (المنبسطة) فنجدها ثقافات ذات طابع فردي كثيف وذات اتجاهات عدائية وتعطي قيمة كبيرة للتجارب العنيفة, وللدافع النفسي الداخلي تأثير اقوى من العامل الجماعي الخارجي, أطلقت على تلك المجموعة الاصطلاح النفسي ثقافات (منطوية) *Introvert*, واستعارت من الفيلسوفين (نيتشه) و(شبنجلر) اصطلاح (ابوللونيان) *Apollonian* للتعبير عن مجموعة الثقافات المنبسطة, واصطلاح (ديونيزيان) *Dionysian* للاشارة الى مجموعة الثقافات المنطوية. وقد لخصت بينديكت فكرة الثقافة بانها مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر والعمل. ولا بد لفهم الثقافة ان ناخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلية والشعورية السائدة فيها والقيم والاهداف المشتركة بين افراد الجماعة صاحب الثقافة موضوع البحث.

واوضح الاستاذ الامريكي (كلايد كلاكهون) *Cliyde* *Kluchhohn*, المقصود من اصطلاح (كل متكامل) او (متناسق) *Configuration* الذي هو محور تلك المدرسة, ففي رايه ان الانماط *Patterns* هي تعميمات تستخلص من حالات السلوك الفردي المتكررة اي هي تكرارات منتظمة لسلوك ظاهري ونصل اليها عن طريق الملاحظة, اما فيما يتعلق (بالتناسق) فهو تعميم لحالات شعورية –وليس لسلوك خارجي- يتكرر حدوثها بانتظام بين افراد الجماعة, وفي النهاية تتكون الثقافة من مجموعة متكاملة من السلوك الظاهري والتناسقات الشعورية, اي الاتجاهات النفسية المنتشرة.

وخلاصة القول ان هذه المدرسة تجمع بين الاهتمام بالسلوك والأعمال والاهتمام بالأفكار والعواطف والقيم والأهداف عند دراسة الثقافة. ظهر تأثير تلك المدرسة في أيامنا هذه إذ نجد ازدياد الاهتمام بدراسة الثقافة والشخصية معا بحيث لا يمكن فهم أحدهما دون الآخر، وتعرف تلك الدراسات باسم (الأنثروبولوجية النفسية).

ظهر في تلك الفترة العلامة الامريكي (روبيرت ريدفيلد)*R.* *Redfield* الذي جاء بنظرية جديدة في عملية التطور الثقافي وطبقها على القبائل الهندية في امريكا الوسطى, وتعرف هذه النظرية باسم (المتصل الشعبي الحضري) *Folk-Urban* *Continuum* في كتابه (الثقافات الشعبية عند اليوكاتان) *Folk* *Cultures* *of* *the* *Yucatan*.

وتصور تلك النظرية نموذجا للثقافة البسيطة البدائية التي نجدها في العشائر, والقبائل والقرى الصغيرة واتخذت من ذلك النموذج البدائي نقطة بدأت منها عملية تطور الثقافات والمجتمعات الانسانية. وتصور النظرية كذلك وجود خط يمثل مراحل التطور يبدأ عند نموذج المجتمع البدائي الذي اطلق عليه ريدفيلد اسم *Folk* *Society* وينتهي عند نموذج مجتمع المدينة المعقد *Urban* *Society* وتشمل المساحة بين نقطتي البدء والانتهاء مراحل تطورية متعددة تمثل مجتمعات اخرى, حدد خصائص معينة للمجتمع البسيط منها البساطة وعدم معرفة القراءة والكتابة والانعزال والتشابه في سلوك الافراد *Homogeneity* وصغر الحجم وقوة تماسك الافراد. اما مجتمع المدينة المعقد فيتميز بخصائص مناقضة لخصائص المجتمع البسيط منها كبر الحجم واختلاف سلوك الافراد *Heterogeneity* والتفكك الاجتماعي وسيادة القانون وتقدم العلوم وضعف الروابط الاجتماعية وسيادة الروح الفردية والاتجاه المادي *Secularization*. اما عن خط التطور الذي يربط بين النموذجين فقط اطلق عليه (ريدفيلد) اصطلاح (استمرار) *Continuum*. وتتلخص طريقة استعمال هذا النموذج او القياس في القيام بدراسة ميدانية للمجتمع موضوع البحث وذلك لتحديد خصائص ثقافته وبالتالي نستطيع تحديد موضعه في المقياس عن طريق مقارنة خصائص ذلك المجتمع بخصائص المجتمعين النموذجيين. واذا طبقنا تلك الطريقة على عدة مجتمعات يسهل المقارنة بينها. وقد يوضع المجتمع قيد البحث بالقرب من نموذج المجتمع البدائي اذا كانت خصائصه تشبه خصائص المجتمع البدائي. وكذلك الحال بالنسبة لمجتمعات المدينة. وقد يتخذ المجتمع موقفا وسطا اي يجمع بعض خصائص النموذجين. ويجب ملاحظة ان كل من المجتمع البدائي ومجتمع المدينة يمثل حالة مثالية وليس مجتمع واقعي معين. طبق (ريدفيلد) مقياسه هذا على عدة مجتمعات في ولاية (يوكاتان) بالمكسيك. وقد تعرض هذا النموذج لعدة اعتراضات.

كذلك بدأت في تلك الفترة اتجاهات ونظريات جديدة في الظهور, تربط بين الدراسات الانثروبولوجية ونظريات تنتمي الى علوم اخرى, فمثلا نجد العلامة )سابير( يربط بين تحليلاته للثقافات ونظريات علم النفس العلاجي، ونلاحظ أن العالم )لينتون (*Leniton* يتخذ موقعا توفيقيا بين المناهج القديمة والحديثة وركز اهتمامه في اتجاه جديد هو موضوع (**الانثروبولوجيا النفسية**) الذي يمثل التعاون بين الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم النفس.

ومن الخصائص الأساسية لتلك الفترة التوسعية أنه رغم غزارة تلك التفرعات التي انبثقت عن الأنثروبولوجيا الثقافية لم تظهر دراسات ممتازة تتناول موضوع العلم الأساسي ولذلك لم يحدث تقدم واضح في مفهومات ومناهج ومدارس الأنثروبولوجيا الثقافية.

تعريف علم الآثار هو العلم الذي يهتم بدراسة ما تركه الإنسان من بقايا مادية، حيثُ يبدأ بدراسة ما صنعه الإنسان من أدوات منذ القدم وحتى العصر الحالي. ويُسمى بعلم العاديات نسبةً إلى قبيلة عاد الهالكة. يعتبر أيضاً دراسةً علميةً دقيقة لمخلفات الحضارات الإنسانية الماضية، فمن خلاله تُدرس حياة الشعوب القديمة وطريقة عيشها؛ وتشمل تلك المخلفات الكثير من المباني، والقطع الفنية، والفخار، والعظام، والعمائر، والمقابر، والأدوات. ما يقوم به علم الآثار من دراسات مختلفة يُسهم في رسم صورة عن معالم الحياة للمجتمعات القديمة، فمثلاً عند اكتشاف أدواتٍ حجرية أو بذور حبوب متفحمة فإن هذا يعكس أنواع الطعام المستخدمة قديماً، وهكذا. ويُعرف الشخص المهتم بهذا المجال بالباحث الأثري، والذي يعتبر الوسيلة والسبيل الوحيد للكشف عن موجودات تلك الشعوب، ويعتبر رافدا مهماً في تزويدنا بالمعلومات الصحيحة عن المجتمعات القديمة. أهمية علم الآثار